



سيرة السيد عمر مكرم

لرؤسناز محمد فريد أبوهرير

بقلم الأديب توفيق الطويل

بارح الجيش الفرنسي أرض مصر بعد أن عرف الشعب مكانة ظالمه عند دفع العاديات ، فرأى جيش السلطان لا يملك العودة إلى القاهرة إلا في ظلال أعوانه الإنجليز ، ورأى المليك يفرون إلى الشرق ويهربون إلى الغرب ويلتمسون صداقة الفرنسيين أو مرضاة العثمانيين أملاً في العودة إلى حكم البلاد، فعرف الشعب من ذلك أن مصيره موكول إليه وأن اعتياده على غير نفسه غفلة وخداع لا ينبغي أن يطلوا . وكان على يقين بأنه يستطيع أن يصمد للحرب

وقد ذاع صيته في أواخر أمره وذهبت شهرته في الآفاق ، وأنته الهدايا من الروم والشام والعمراق ، وكانت وفاته سنة ١١٩٩ هـ . وقد زاد المحبي على ما ذكره الجبرتي من ذلك أنه بلغ أمره أن صار شيخاً للأزهر ، وأن أول من انتزع مشيخة الأزهر من المالكية ، وكان رحمه الله شافياً

فهذا اضطراب آخر في شيوخ الأزهر ، فالشيخ المنير غير معدود في هؤلاء الشيوخ ، وقد كان شيوخ الأزهر في عهده الشيخ عبد الباق المالكي القليني ، فالشيخ محمد شنن المالكي ، فالشيخ عبد الله الشبراوي الشافى ، فالشيخ محمد الحنفى الشافى ، فالشيخ عبد الرؤوف السجيني ، فالشيخ أحمد الدمنهوري ، فالشيخ أحمد المرورى ، وقد صار أولهم شيخاً للأزهر سنة ١١٢٠ هـ وصار آخرهم شيخاً له من سنة ١١٩٢ هـ إلى سنة ١٢٠٨ هـ والشيخ عبد الله الشبراوي هو الذى ذكر صاحب تاريخ

الطاخنة وحده شهوراً وأياماً كما فعل في ثورته الثانية العنيفة على الجيش الفرنسى النظم . وكان زعماء هذا الشعب الكريم تموزهم التضحية وينفصم الاخلاص ، ينتفمون بتقلبهم مع الحكومات على حساب الوطن المسكين سوى رجل واحد جمع الزعامة والجهاد والتضحية . كان يزوى حين لا تنفع المقاومة ، ويشور ثورة الأسد حين عس الحاجة إلى الثورة والتمرد . . . ذلك هو السيد عمر مكرم . . . فلما سمع صوت الشعب يدوى مطالباً بحكومة جديدة خرج من عزله وتولى قيادته . واحتشدت جموع الشعب التى بلغت أربعين ألفاً بجوار الأزهر على كتب من بيت القاضى الذى كان يجتمع فيه الزعماء لاختيار الوالى الجديد . وانعقد اجماعهم على قبول «محمد على باشا» والياً بعد أن رشحه الزعيم الأكبر «عمر مكرم» لما عرفوه عنه من التكاء والعدل والشهامة والعطف على المصريين

الأزهر أنه أول من تولى مشيخة الأزهر من الشافعية ، وقد صار شيخاً للأزهر من سنة ١١٣٧ هـ إلى سنة ١١٧١ هـ ، فكيف يكون الشيخ المنير شيخاً للأزهر بين توالى أولئك الشيوخ وكيف يكون أول من انتزع مشيخة الأزهر من المالكية إلى الشافعية ؟

فالحق أن الشيخ المحبى أخطأ في هذا كما أخطأ قبله الشيخ عبد الفتى النابلسى فى الشيخ منصور المنوفى الشافى ، وقد كاد شاميين ببيدين عن الأزهر ورجاله ، ولا شك أن هذا يضمف من قيمة ماشدا فيه من ذلك .

ولو صح أن الشيخ منصور المنوفى كان شيخاً للأزهر كما ذكر الشيخ عبد الفتى النابلسى لكان هو الذى انتزع مشيخة الأزهر من يد المالكية إلى الشافعية لا الشبراوي ولا المنير لأنه أقدم عهداً منهما كما سبق .

ونفيه بعيداً عن موطن الثورات . .

هذا موجز مشوه لسيرة البطل الذي تناوله الأستاذ الجليل محمد فريد أبو حديد في كتابه القيم الممتع الذي أصدره في هذين اليومين وأبان فيه نهاية الكفاح المجيد الذي كان الشعب المصري قد بدأه منذ قرن ونيف من الزمان . . والكتاب آية أدبية جمت ثلاثة عناصر قلّ أن تجتمع في كتاب: دقة العلم، وجمال الفن، وحرارة الوطنية .

على أن في الكتاب رأياً ترددت كثيراً في التسليم به ، ذلك هو تحديده للوقت الذي تحرك فيه الشعب المصري للمحافظة على حقوقه وحرياته بعام ١١١٤ هـ إذ أن الحادثة التي أيدت هذا تلخص في شكوى رفعا العلماء إلى الديوان فاستجبت لعدالة الحاكم « الفعلي » يومذاك لا لحرص الشعب وزعمائه على حقوقهم ولا لخوف الحاكم من عنادهم . فأما عدالة الحاكم فيشهد بها قول الشيخ حسن الحجازي شاعر العصر رثيه :

ألا قل لمن في موت حاكم مصرنا

غداً فرحاً لا عشت حلّ بك النم

إلى أن قال :

فأرجح ميزاناً وأوفى مكيالاً وأخذ نيراناً وقام به سلم
وليس له من بفض غير معرض عن الحق أو من في عقيدته سقم
إلى آخر ما جاء في الرثاء الذي أورده الجبرتي (١٠٧ و ١٠٨ ج ١)

وأما الدليل على أن الشعب وزعماءه يومئذ لم يكونوا قد آمنوا بعد بالحرص على حرياتهم وحقوقهم فيشهد به بحجى فرمان من الدولة عام ١١٣٧ هـ يأمر بمنع العلماء من اجتماعهم بالبasha . وكان ذلك في وقت قد اشتد فيه الظلم ، وعانى الشعب ألواناً من التعدي على الحريات وانتهاك الحرمات ونهب الأموال ، فلم يقاوم فرمان الشعب ولا زعماءه . ولما تكرّر الظلم بعد هذا طالب الشعب العلماء بالذهاب إلى البasha فاعتذر هؤلاء الزعماء بأنهم ممنوعون من طلوع القلعة . . . ! (١٣١ ، ١٣٥ ج ١ من الجبرتي) فالشكوى وحدها ليست دليلاً على التحرك لدفع الظلم ، وإنما الدليل أن يقاوم الظلم حتى ينصف أو يشتشهد .

زاء الطغاة من حكامهم . . . وقبل الوالي الجديد ترشيحهم بمدد . فقام إليه السيد عمر مكرم والشيخ الشرفاوى وألباه كركك والقفطان في بيته وخلما عليه حكم البلاد باسم الشعب صري الكريم . وكان ذلك في ١٣ مايو سنة ١٨٠٥ ، فتميز والى القديم « خورشيد باشا » غضباً وقال: « ولائي السلطان فلن يزلي الفلاحون » فلم يكن بد من أن ينزله هؤلاء الفلاحون قوة من قصره بالقلعة . وبدأ الكفاح المجيد بين شب يفدي أمه الذي اختاره لنفسه بل يفدي حريته واستقلاله بالمهج والأرواح ، بين جيش يريد أن يحكمه على غير إرادته . . وكانت الثورة قائمة على بدأ أعلنه الزعيم الأعلى لرسول السلطان الذي احتج بقوله تعالى : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » فأجابه الزعيم ن أولى الأمر هم العلماء وحمة الشريعة والسلطان العادل ، وأن سلطان أو الخليفة نفسه إذا سار في الناس بالجور والظلم كان لهم به وخله . . .

وأصاب الشعب النصر الحاسم داخل المدينة وخارجها . . . أرح البلد خورشيد باشا بعد أن عرف بالتجربة أن إرادة الشعوب بإرادة الله . . .

ولبت الشعب المجيد يعين حكومته الجديدة في رد أعدائها ، بماليك وأتراك وأجليز حتى نجاه عن ذلك « واليه » وصارح يمه بأن واجب الدفاع والاشتراك في سياسة البلاد قد سقط ، الشعب بعد أن صارت قوة الدولة كفيلاً به . . . ونهض الوالي لاد نهضة زاهرة شملت تجارتها وزراعتها وصناعاتها وثقافتها لكنها كانت بعيدة عن روح الشعب الذي أكره على الاعتزال تكن نمرة جهاده ولا نتيجة سعيه ولا وليدة ذهنه فذلت انت بموت موجدتها . .

واعترل الزعيم ، حتى إذا اشتط الوالي في ضرائبه التي أكرهته بها كثرة إصلاحاته وحروبه خرج من مكنته وأعلن مبداه ي لا يقبل فيه شكاً ولا جدلاً : أن ليس للبasha أن يغير نظام حكم ولا أن يفرض ما شاء من الضرائب ولا أن يحكم الشعب بقانونه وعاداته . . . ولكن البasha عرف كيف يفرق بين الزعماء تنفع بمقدمهم على زعيمهم فيأمر بخلمه من نقابة الأشراف

ياليل الصب ومعارضاتها

أعاد السيد محي الدين رضا طبع قصيدة « ياليل الصب متى غده » لأبي الحسن الحصرى وهى تقع فى ٩٩ بيتاً ومعارضاتها قديماً وحديثاً وهى ٣٠ معارضة لأشهر الشعراء أمثال: شوقى وصبرى وولي الدين بكى والأمير نسيب والهاوى والرافى والزركلى ونظيم والملوف والخورى . وهى تقع فى ٥٤ صفحة من القطع الصغير طبعت على ورق جيد وثمان النسخة عشرة مليات وتطلب من مكتبة خضير بالمدينة الخضراء بمصر وأجرة البريد خمسة مليات

رحلتى إلى الحجاز

للأستاذ محي الدين رضا

هو مجموعة مقالات نشرها المؤلف فى مختلف الصحف المصرية عن رحلته إلى الحجاز ، وقد حوت وصفاً صحفياً طريفاً لكثير من نواحي الحياة فى هذا البلد الأمين وصوراً قلبية لكثير من شخصياته . والكتاب دعابة حسنة للحج وتشجيع على تأدية هذه الفريضة من فروض الدين .

تسليم خضير

٥٠٦٥٠
تليفون



١٠٥٧
صندوق بريد

بريشة ذهب عيكار ١٤

مضمون ٣ سنوات

لستعمله الكوكومات لشرقية
مكتبة وطبعة خضير شارع عبد العزيز بمصر

والرأى عندي - إن صح أن يكون لى رأى إلى جانب رأى أستاذى المؤرخ - هو أن الشعب قد تحرك للمحافظة على حقوقه وحرياته فى الثلث الأخير من القرن الثامن عشر الميلادى (أواخر الثانى عشر الهجرى) إذ سمعنا فى هذه الفترة سلسلة من الحوادث تقوم على دفع الظلم ومقاومة أهله والاعتزاز بالحرية . ورأينا فيه كيف يهتم الحكام - أقوياء وضعفاء وعدول وظلمة - بالرأى العام وزعامته . وسمعنا بالحفى وابن النقيب والصميدى ، وعرفنا موقف العلماء فى فتنة الوقف ، بل أروع من هذا كله موقفهم فى فتنة الأزهر (٥٦ ج ٢ من الجبرتى) يوم رفضوا شيخ الأزهر الحنفى حين عينه شيخ البلد ولم يعبأوا بمنطقه يوم أصر قائلاً لهم : أليس الحنفية مسلمين كالشافعية ؟ أليس مذهب النعمان أقدم المذاهب ؟ أليس القاضى حنفياً والوزير حنفياً والسلطان حنفياً . . . ؟ واتمى إصرارهم بالانتصار الحاسم على أكبر رأس فى البلد .

ورأينا فى هذه الفترة العالم الذى يغضب على الحاكم فيقول له فى وجهه : لعنك الله ولعن اليسرجى الذى جاء بك ومن باعك ومن اشتراك ومن جعلك أميراً (١٩ ج ٢) ورأينا العالم الذى يقول للعامة وهى تستنصره لدفع الظلم الذى يوقه الحكام بهم : « فى غد نجتمع أهالي الحارات والأطراف وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم ونهب بيوتهم كأنهموا بيوتنا ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم » فاجاء مساء ذلك اليوم حتى ذل له الحكام واستكانوا للمنادة (١١٠ ج ٢ من الجبرتى)

تكرر هذه الحوادث وظهور المقاومة فيها جميعاً هو الشاهد العدل على تحرك الشعب لحقوقه فى هذه الفترة . . . أما مجرد الشكوى من الظلم فى فترات منقطعة ، والصبر عليه ، والمعجز عن التمرد والسكوت عن كفاح المتبد حين يصر على استبداده فهو الدليل على أن الشعب لا يحرص على حقوقه ولا يتحرك للمحافظة على حرياته . . .

هذا هو الرأى الذى خطر لى عند قراءة هذا الكتاب القيم الذى كسبته القومية المصرية وريحه الناطقون بالضاد . . .
توفير الطريل